دائرة الشؤون الإسلامية
Department Of Islamic Affairs

حكومة الشارقة
GOVERNMENT OF SHARJAH

خُلق الصدق في الإسلام
ووقفات مع قصة توبة كعب بن مالك
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

من إصدارات

دائرة الشؤون الإسلامية بالشارقة

خلُوه الصدوه في الإسلام

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

خُلق الصدق في الإسلام
ووقفات مع قصة توبة كعب بن مالك
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

من إصدارات

دائرة الشؤون الإسلامية بالشارقة

كلمة الدائرة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فيسرُّ **دائرة الشؤون الإسلامية بالشارقة** -انطلاقًا من رسالتها السامية، ودورها الرّيادي في نشر الوعي الإسلاميّ في المجتمع- أن تقدِّم هذا الإصدار الجديد، لجمهور القرَّاء من المتطلعين للثَّقافة والمَعرفة، وتحصيل العلم النافع، والعمل به.

وهذه الرِّسالة حوَت مباحثَ مهمة في موضوع: خلُق الصدق، وقصة توبة الصحابيِّ الجليل كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وذلك في عبارة ميسَّرة، وعرض سَهل، لتكون زادًا مُعينًا للمسلم على التَّحلِّي بأفاضِلِ الأخلاق ومعاليها، التي حثَّ عليها ديننا الحنيف.

وامتثالًا لقول نبيِّنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا يشكُرُ اللهَ منْ لا يشكُرُ النَّاسَ**» [رواه أحمد]، فإنَّنا نشكر حكومتنا الرشيدة، وصاحب قيادتنا السديدة، **صاحب السُّمو الشَّيخ الدكتور سُلطان بن محَمد القاسميّ**، عضو المجلس الأعلى للاتّحاد، حاكم إمارة الشّارقة -حفظه الله ورعاه-، الذي شيَّد صرح العلم والحضارة والأخلاق في الإمارة؛ فلولا الله ثم دعمه للعلم والعلماء والمثقفين لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه من الخير، ونسأل الله جلَّ في عُلاه أن يحفظ سموَّ الحاكم، وأن يجزيَه عنا كل خيرٍ، وأن يجعل أوطاننا آمنة مطمئنة، وأن ينفع بهذا الإصدار الإسلام والمسلمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ذي الأسماءِ الحُسنى، والصِّفات العُلى، والصَّلاة والسَّلام على خيرِ مَنْ تخلّق بالأخلاق العَلِيَّة، وتحلّى بالصّفات الزكيّة، قُدْوة الأُمَم، وأُسْوة القِيَم، إمام المُرسَلين، المُزَكَّى من ربِّ العالمين، القائل جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

أما بعد: فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعث نبيَّنا الأمين، محمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ رحمةً للعالمين، مِصداقًا لقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ومن تمام رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بخلقه أنْ أَرْسَت لنا الشَريعةُ، منهجًا مُتكاملًا مِنَ الآداب والقِيَم والأخلاقِ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**»[1]، فما جاء به الشَّرع مِن قِيَمٍ إسلاميَّةٍ، وهويَّة أخلاقيَّة، هي منظومةٌ راقيَةٌ،

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد: (٢٧٣)، وأحمد في المسند: (٨٩٥٢).

ومبادئُ راسِيةٌ، تحكُم تعاملَ المسلمِ مع اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ومع غيره من النَّاس، وسائر المخلوقات.

وإنّ من الأهمية بمكان أن يتخلَّق المسلم بالأخلاق الحَسنة دائمًا وأبدًا، في حِلِّه وتَرحَاله، ومن ثَمَّ يجب على المسلم أن يتفقه في علم الأخلاق والآداب، ليُبصِر مكارم الأخلاق الفاضلة، وفضائل الصفات الكاملة، ليتحلَّى بها، ويعرف مساوئ الأخلاق الرديئة ليتجنبها.

نسألُ اللهَ سبحانه أن يكونَ هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، ومفتاحًا من مفاتيح الخير والبَركة، وصلّى وسلّم وبارك على نبيّنا محمّد وعلى آلِه وصحبهِ أجمعين.

مُقَدِّمَة

إن من الأخلاق الفاضلة الحَسنة: خلُق الصِّدق، الذي أطبق جميع العقلاء على اعتباره من أسمى الأخلاق الفاضلة، وضده الكذب، الذي لا يختلف اثنان على اعتباره من أردى الأخلاق المرذولة، فالبر والجنة يهتدى إليهما بالصدق، كما أن الفجور والنار -والعياذ بالله- يهتدى إليهما بالكذب، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»**[1].

وعلى الرغم من جاهلية العرب قبل الإسلام، إلا أنهم كانوا يأنفون من الكذب، ويتحرون الصَّدق، ففي قصة أبي سفيان

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع هرقل ملك الروم، سأل هرقل أبا سفيان عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، -ولم يكن أبو سفيان على الإسلام حينها-، فقال أبو سفيان قولته الشهيرة: «فَوالله لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ»[1]، فدلَّ ذلك على أنفة العرب من أن يعير أحدهم بكذبة، حتى ولو كان ذلك في سبيل نصرة آلهتهم.

معنى الصدق:

الصدق هو ما يناقض الكذب قولًا أو فعلًا، وهو مطابقة قول القائل لفعل الفاعل، أو مطابقة الحكم للواقع[2]؛ قال الرّاغب الأصفهاني: الصّدق مطابقة القول الضّمير والمخبر عنه معا[3]، وقيل الصدق: استواء السِّر والعلانية، والظّاهر والباطن. وجعلوا

---

(١) رواه البخاري: (٧).

(٢) التعريفات للجرجاني: ص١٣٢.

(٣) المفردات للراغب: ص٤٧٨.

الإخلاص لازمًا من لوازم الصدق، والصّدق أعمّ من الإخلاص، فقالوا: كلّ صادقٍ مُخلِصٌ، وليس كلّ مُخلِصٍ صادقًا[١].

والرجل الصَدُوق: هو من بلغ من الصدق مرتبة أعلى من الصادق، والصِّدِّيق: من بلغ في الصدق أعلى المراتب وأسماها[٢].

۞ منزلة الصِّدِّيقيَّة:

إن لخلق الصدق مراتب ومنازل ودرجات، فالصِّدِّيق أبلَغ من الصَّدُوق، والصَّدُوق أبلغ من الصَّادق، وأعلى منازل الصدق: الصدِّيقية[٣]، التي تعني: كمال التصديق، وتمام الانقياد

---

(١) نضرة النعيم: ٦/ ٢٤٧٤.

(٢) لسان العرب، مادة (صدق).

(٣) مدارج السالكين: ٢/ ٦٢٩.

والمتابعة لأمر وخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ظاهرًا وباطنًا[١]. وهي أشرف منازل الإيمان[٢]، وبها نال أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما نال من الخير والفوز والسبق على سائر أفراد هذه الأمة[٣].

ولقد ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم الصدِّيقين مع من أنعم عليهم؛ فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلِّقًا على هذه الآية: فجعل درجة الصديقية معطوفة على درجة النبوة، وهؤلاء هم الربانيون، وهم الراسخون في العلم، وهم الوسائط بين الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأُمته، فهم خُلفاؤه وأولياؤه

---

(١) مدارج السالكين: ٢/٢٦١.

(٢) التبيان في أقسام القرآن: ص١٩٣.

(٣) بدائع الفوائد: ١/٧٢.

وحِزبه وخاصَّته وحمَلة دينه، وهم المَضمون لهم: أنهم لا يزالون على الحق لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ﴾ [الحديد: ١٩]، ومرتبة الصدِّيقين فوق مرتبة الشَّهداء، ولهذا قدَّمهم عليهم في الآيتين، هنا وفي سورة النساء، ولهذا كان نَعْت الصدِّيقية وصفًا لأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسَلين: أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولو كان بعد النُّبوة درجةٌ أفضل من الصِّدِّيقية لكانت نعتًا له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وأساس منزلة الصديقية وركنها الأعظم: قوة صدق اليقين بالله جَلَّ جَلَالُهُ[2].

---

(١) طريق الهجرتين: ص٣٥١.

(٢) مدارج السالكين: ٢/ ٣٧٤.

وأركان منزلة الصديقية ثلاثة: الإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتصديق خبرهما، والمتابعة لهما، فمتى اجتمعت هذه الثّلاثة في العبد فقد خُلِعَت عليه الصِّدِّيقيّة[1].

❁ فضل خلق الصدق:

للصدق فضائل وفوائد عديدة:

١- الصدق صفة من صفات الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين، قال جَلَّ جَلَالُهُ عن الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم: ٤١].

وقال تعالى عن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم: ٥٤].

وقال تعالى عن إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [مريم: ٥٦].

---

(١) مدارج السالكين: ٤/ ٤٠٢.

وقال تعالى عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

فتبيَّن أن الصِّدق صفةٌ لزمها خِيار من خَلق الله عَزَّوَجَلَّ وهم الأنبياء والصالحون، ومعلوم أن الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه يذكر أعظم صفات وأخلاق الممدوح، فبذلك يُعلم عظم منزلة صفة الصدق وعلو شأنها.

التخلق بصفة الصدق هو طاعة لأمر الله تعالى بملازمة التقوى والصدق في القول والعمل، ومصاحبة الأبرار أهل الصدق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، والأمر بأن يكون المؤمن مع الصادقين، أبلَغ في التخلُّق بالصدق من الأمر المجرد بالصدق نحو: اصدقوا. ونظيره من الآيات قوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾

[البقرة: ٤٣][1]. فأخلاق المتصاحبين تؤثر في بعضهم البعض، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[2]، فإذا صدق المؤمن ولازم أهل الصدق، كان معهم على نهجهم، ومنهم في زمرتهم.

الصادقون من أهل الرفيق الأعلى في الجنة: قال عزَّ شأنه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩] فكل من أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليهم –ومنهم الصِّدِّيقون– فهم أَهل الرّفيق الأَعلى، ولا يزال الله يَمدّهم بنعمهِ وأَلطافه، ويزيدهم إِحسانًا منه وتوفيقًا، ولهم مزيّة المعِيّة مع الله، فإِن الله تعالى مع الصّادقين، ولهم منزلة القرب منه؛ إِذ درجتهم منه بعد درجة النبيّين، وأَثنى عليهم بأَحسن أَعمالهم: من

(١) التحرير والتنوير: ١١/ ٥٤.

(٢) رواه أبو داود: (٤٨٣٣).

الإيمان، والإسلام، والصّدقة، والصّبر؛ فقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]، وهذا صريح في أَنَّ الصّدق بالأَعمال الظاهرة والباطنة، وأَنَّ الصّدق هو مَقام الإسلام والإيمان[1].

٢- الصدق والتقوى خُلقان متلازمان، قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزمر: ٣٣-٣٤]،

(١) بصائر ذوي التمييز: ٣/ ٣٩٨.

فالمتقون الذين لهم الجزاء الأوفى عند الله هم من تحقق فيها شرطان:

- الصدق.
- التصديق بالصدق.

فمن جاء بالصدق في قوله وعمله، وصدَّق به إيمانًا وعملًا، فأولئك الذين جمعوا خصال التقوى، ولهم ما يشاؤون عند ربهم من الثواب العظيم، والنعيم المقيم.

٣- الصدق أحد الأسباب الموصلة إلى الجنة؛ لأن الصدق أصل البر، والكذب أصل الفجور، جاء ما يدل على ذلك في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ**

حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[١]، وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩].

٤- بالتزام الصدق يكون الصادق من خير الناس على الإطلاق؛ فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ**»[٢].

٥- الصدق سبب لحلول البركة في المصدوق فيه، والكذب سبب لمحق البركة في المكذوب فيه؛ عن حكيم بن حِزام

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢١٦).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، -أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا- فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»(١).

٦- الصدق فيه راحة القلب وطُمأنينة النفس، والكذب فيه القلق والخوف والشك؛ قال الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حفظت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ**»(٢).

۞ فيمَ يكون الصدق؟

الصّدق يكون في ثلاثة أمور: في الأقوال والأعمال والأحوال.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال، كاستواء

---

(١) رواه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).

(٢) رواه الترمذي: (٢٥١٨).

السنبلة على ساقها.

والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة. كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص. واستفراغ الوسع، وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق. وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به: تكون صِدِّيقيَّتُه، ولذلك كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه: ذروة سنام الصِّدِّيقية.

ولقد سأل الصالحون ربهم الصدق، وبشرهم ربهم بالصدق في مواطن، فمن ذلك:

أن الله تعالى أمر رسولَه: أن يَدعُوه بأن يجعل مُدخَله ومُخرَجه على الصدق؛ فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾ [الإسراء: ٨٠]، ولقد سأل الخليل إبراهيمُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ربَّه عَزَّوَجَلَّ

فقال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [الشعراء: ٨٤]، وبشَّر اللهُ جَلَّجَلَالُهُ عبادَه المؤمنين بأن لهم قدم صدق عند ربهم، فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: ٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ٥٥﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

فهذه خمسة أشياء: مُدخَل الصِّدق، ومُخرَج الصِّدق. ولسان الصِّدق، وقدَم الصِّدق، ومَقعَد الصِّدق.

- فمُدخَل الصدق، ومُخرَج الصدق الذي دعا به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أي: أن يكون دخوله وخروجه في مرضاة الله تعالى، وهو ضد مُخرَج الكذب ومُدخَله الذي لا غاية صحيحة له يوصل إليها، ولا له ساق ثابتة يقوم عليها، وذلك كمخرج أعدائه يوم بدر بالهزيمة والخذلان، ومُخرَج الصدق كمخرجه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هو وأصحابه في تلك الغزوة، بالفوز والانتصار.

وكذلك مُدخَله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ المدينة: كان مُدخَل صدق

بالله، ولله، وابتغاء مرضاة الله، فاتصل به من الله جَلَّجَلَالُهُ التأييد، والظَّفَر والنصر، وإدراك المطلوب في الدنيا والآخرة، بخلاف مُدخَل الكَذِب الذي أراد أعداؤُه أن يدخلوا به المدينة يوم الأحزاب، فإنه لم يكن لله عَزَّوَجَلَّ، بل كان مُحادَّةً لله ورسوله، فلم يتصل بالأعداء إلا الخذلان والبوار(١).

- وأما لسان الصدق الذي سأل إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربَّه جَلَّجَلَالُهُ أن يعطيه: فهو الثَّناء الصادق الحسن، والذِّكْر الجميل بين الناس(٢).

- وقدَم الصدق: هي الأعمال الصالحة عند الله تعالى، التي يقدم بها العبد على ربه، وتُدَّخر عنده، فيستوجب بها الثوابَ

---

(١) مدارج السالكين: ٢/ ٢٥٨-٢٦٠، باختصار.

(٢) تفسير الطبري: ١٩/ ٣٦٤.

والأجرَ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[١].

- ومقعد الصدق: مجلس الحق الذي لا لغو فيه ولا إثم، في دار كرامة الله ورضوانه وفضله، وامتنانه وجوده وإحسانه[٢].

قال جعفر الصادق: «مدح الله المكان بالصّدق، فلا يَقعد فيه إلا أهلُ الصِّدق»[٣].

❁ الصدق مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

من أعظم مجالات الصدق، وأجلِّ القُرُبات أن يكون المسلم صادقًا مع ربه جَلَّ جَلَالُهُ، فالصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ هو إقامة الدين كما أمر سبحانه، على أتمِّ وجه، وأكمل حال؛ فمن صدق مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقد ضمن الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمد: ٢١].

---

(١) تفسير الطبري: ١٥/ ١٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ٧/ ٤٨٧.

(٣) تفسير البغوي ٧/ ٤٣٧.

وقد وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الصادقين بأنهم هم الذين قاموا بأمره، وآمنوا بشرعه، فقال: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: المتَّصفون بما ذكر من العقائد الحَسَنة، والأعمال التي هي آثار الإيمان، وبرهانه ونوره، والأخلاق التي هي جمال الإنسان، وحقيقة الإنسانية، فأولئك هم ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في إيمانهم، لأن أعمالهم صدَّقت إيمانَهم، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ لأنهم تركوا المحظور، وفعلوا المأمور؛ لأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير، تضمُّنًا ولُزومًا،

لأن الوفاءَ بالعهد، يدخُل فيه الدِّين كلُّه، ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات، ومن قام بها، كان بما سواها أقوم، فهؤلاء هم الأبرار الصادقون المتقون(١).

ومن الصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ: الصدق في الأعمال القلبية التي لا يطلع عليها إلا الله تعالى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَيْسَ للْعَبد شَيْء أَنْفَع من صدقه مع ربه فِي جَمِيع أُمُوره، مَعَ صدق الْعَزِيمَة، فيصدقه فِي عزمه وَفِي فعله قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمد :٢١] فسعادته فِي صدق الْعَزِيمَة، وَصدق الْفِعْل، فَصدق الْعَزِيمَة: جمعُهَا وجزمها وَعدم التَّرَدُّد فِيهَا، بل تكون عَزِيمَةً لَا يشوبها تردد، فَإِذا صدقت عزيمته بَقِي عَلَيْهِ صدق الْفِعْل، وَهُوَ استفراغ الوسع وبذل الْجهد فِيهِ، وَأَن لَا يتخلّف عَنهُ

(١) تفسير السعدي: ص٨٣.

بِشَيْء من ظَاهره وباطنه، فعزيمة الْقَصْد تَمنعهُ من ضعف الْإِرَادَة والهمّة، وَصدق الْفِعْل يمنعهُ من الكسل والفتور، وَمن صدق الله فِي جَمِيع أُمُوره صنع الله لَهُ فَوق مَا يصنع لغيره، وَهَذَا الصدْق معنى يلتئم من صحّة الْإِخْلَاص وَصدق التوكّل، فَأَصدق النَّاس من صَحَّ إخلاصه وتوكّله[1].

❁ الصدق في سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

شهد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالأخلاق العظيمة لنبيه الكريم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣]، ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي

(١) الفوائد: ص٢٠٤.

جاء بالصدق[١]، وكفى بتلك الشهادة على كمال خُلُقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته.

وكان كفار قريش قبل البِعثة يُشيدون بأخلاق المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصدقه وأمانته؛ ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال هرقل: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَزَعَمْتَ: أَنْ لاَ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ[٢].

وملك الروم لم يقابل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَطُّ، ولكنه من خلال حواره مع أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تيقَّن من صِدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصِدق ما جاء به.

ولم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا صادقًا طول عمره، فما عُرف في قومه إلا بالصدق، ويدلُّ لذلك ما رواه عبد الله بن عَبَّاسٍ

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٤/ ٧.

(٢) رواه البخاري (٢٩٤١) ومسلم (١٧٧٣).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «**يَا بَنِي فِهْرٍ! يَا بَنِي عَدِيٍّ!**[1]» حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ، أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ [المسد: ١-٢].

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ،

(١) هم بطنان من بطون قريش الكثيرة.

أَجْوَدُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً، مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَوله: (أصدق النَّاس لهجة) هَذَا مِمَّا أقرّ لَهُ بِهِ أعداؤه المحاربون لَهُ، وَلم يُجَرِّبْ علَيهِ أحدٌ من أعدائه كذبة وَاحِدَة قطّ، دَعْ شَهَادَة أوليائه كلِّهم لَهُ بِهِ، فقد حاربه أهل الأَرْض بأنواع المحاربات -مُشرِكوهم وَأهلُ الْكتاب مِنْهُم- وَلَيْسَ أحدٌ مِنْهُم يَوْمًا من الدَّهْر طعن فِيهِ بكذبة وَاحِدَة صَغِيرَة وَلَا كَبِيرَة[٢].

الصدق في حياة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

إن الله عَزَّوَجَلَّ اختار لصحبة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خير الخلق، وأزكاهم، وأفضلهم، فروى أهل الحديث عن النبي

---

(١) رواه الترمذي: (٣٦٣٨).

(٢) جلاء الأفهام: ١٨٣.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**خَيرُ النَّاسِ قَرنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم**»(١)، وما أحسن ما قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَقْلِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ، فَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ»(٢).

ومن تربّى على يد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي شهد له ربه بعِظَم أخلاقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فلا بدَّ كذلك أن يكون عظيم الأخلاق، سامي الصفات، فإن الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا ينهلون من علم المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويهتدون بهديه الكريم، ولذلك كانت أخلاقهم أفضل الأخلاق،

---

(١) رواه البخاري: (٢٦٥٢)، ومسلم: (٢٥٣٣).

(٢) حلية الأولياء: ١/ ٣٠٦.

وهديهم خير الهدي، وجاء في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمر باتباع هدي الصحابة، فعن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١)، ولعلنا -أيها القارئ الكريم- نجول بك في شيء قصص ومواقف الصدق في سيرة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

❁ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢):

لُقب أبو بكر بالصِّدِّيق، لأنَّه بلغ منزلة الصديقية، -سبق أن تعرضنا لبيان هذه المنزلة-، فكان أشدَّ الناس تصديقًا واتباعًا

---

(١) رواه أبو داود: (٤٦٠٧)، والترمذي: (٢٦٧٦)، وابن ماجه: (٤٢).

(٢) اسمه: عَبْد الله بْن عثمان (أبي قُحافة) بْن عَامِر بْن عَمْرو بْن كعب بْن سعد بْن تيم بْن مرة بْن كعب ابن لؤي الْقُرَشِيّ التيمي. انظر: أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ٢٠٥.

لأمر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وفي ذلك تقول أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَوْا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ(١).

ومن مناقبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبي بكر، وذلك لصدق إيمانه، وقوة تصديقه بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: (٤٤٠٧).

قال رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهُ الرَّاعِي، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَالَ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟ وَبَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا، فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ**» قَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ!، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**»(١).

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ**» (٢).

فبذلك يعلم صدق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستحقاقه منزلة الصِّدِّيقيَّة، ولقب الصِّدِّيق -فرضي الله عنه وأرضاه-.

---

(١) رواه البخاري: (٣٦٦٣).

(٢) رواه البخاري: (٣٦٦١).

❁ كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]:

كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحابيٌّ من أجلاء الصحابة، ممن نصروا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة، وقد حدثت له حادِثةٌ في زمن غزوة خلَّدها القرآن الكريم، وجاء ذكرها بتفاصيلها وبتمامها في الأحاديث النبوية، وهي تدلُّ دلالة قاطعة على علو أخلاق كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسمو صدقه في القول، وصدقه في توبته، وفيها بيانٌ لعاقبة الصادقين. وسنسرد القصة من كتب الحديث المسندة الصحيحة، ثم نذكر بعد ذلك شيئًا من فوائدها –مما ييسره الله–.

فقد أخرج الشيخان –البخاري ومسلم– في صحيحيهما عن

---

(١) كعب بْن مَالِك بْن أَبِي كعب، واسم أَبِي كعب: عَمْرو بْن القين بن سواد ابن غنم بْن كعب بْن سلمة بْن سعد بْن عليّ الأنصاري الخزرجي السلمي. انظر: أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ٤/ ١٨٧.

كَعْب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا(١)، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا(٢).

كَانَ مِنْ خَبَرِي: أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ، فِي تِلْكَ الغَزَاةِ(٣)، وَاللهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ،

---

(١) قال الزركشي: كذا هنا، وقد تقدم في غزوة بدر بهذا السند نفسه: "ولم يعاتبِ اللهُ أحدًا تخلَّفَ عنها". مصابيح الجامع: ٨/ ١٢٩.

(٢) يقصد كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: (وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا): أن غزوة بدر أشهر بين الناس من غزوة تبوك.

(٣) أي في غزوة تبوك. انظر: إرشاد الساري: ٦/ ٤٥٢.

حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ[1]، قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي

---

(١) يريد الدِّيوان أو السِّجل الذي يسجل فيه أسماء الجُند المشاركين في الغزوة. انظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٢٥/ ٢٦١.

حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الجِدُّ[١]، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا[٢] لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ[٣]، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ**

---

(١) أي اشتدّ جدّ المسلمين وجهدهم في الاستعداد والانطلاق للغزو.

(٢) أي: رحَلُوا وبانوا عن المقيمين. انظر: لمعات التنقيح: ٦/ ٥٧٦.

(٣) أي يُظَنُّ به النفاق ويُتَّهم به. انظر: إرشاد الساري: ٦/٤٥٣.

كَعْبٌ؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ[١]، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ[٢]، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ!، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا[٣] حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ[٤] أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا[٥] زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ،

---

(١) تثنية: بردة. انظر: المرجع السابق.

(٢) كناية عن كونه معجبًا بنفسه أو بلباسه ذا زهو وتكبر. انظر: المرجع السابق.

(٣) أي: انطلق راجعًا من غزوته. انظر: شرح النووي على مسلم: ١٧/ ٩٠.

(٤) أي: أخذت. انظر: المرجع السابق.

(٥) أي: اقترب من المدينة.

وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «**تَعَالَ**» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «**مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟**[1]»، فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ، لاَ وَاللهِ مَا

---

(١) أي اشْتريت راحلتك. انظر: عمدة القاري: ١٨/ ٥٣.

كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**». فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لاَ تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ المُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَكَ، فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي، حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلاَنِ، قَالاَ مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ، وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي

الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ[١]، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ

---

(١) قوله: (حَتَّى تَنَكَّرَتْ لِي فِي نَفْسِيَ الأَرْضُ) قال النوويّ: معناه: تغيّر عليّ كل شيء حتى الأرض، فإنها توحّشت عليّ، وصارت كأنها أرض لم أعرفها؛ لتوحّشها عليّ، كما قال: (فَمَا هِيَ بِالأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ) ها، وفي رواية معمر: "وتنكّرت لنا الحيطان، حتى ما هي بالحيطان التي نعرف، وتنكّر لنا الناس، حتى ما هم الذين نعرف"، وهذا يجده الحزين، والمهموم، في كل شيء، حتى قد يجده في نفسه». انظر: البحر المحيط الثجاج: ٤٣/ ٣٩.

جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ[١] جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ، حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ المَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ[٢] مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ:

---

(١) أي: صعدت.

(٢) هو: واحد النَّبَط، وهم العامرون لأراضي الشام، وسُمّوا بذلك؛ لأنهم ينبطون أو يستنبطون المياه؛ أي: يستخرجونها. وقيل: هم فلّاحو العجم. انظر: البحر المحيط الثجاج: ٤٣/ ٤٣.

"أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ"

فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلاَءِ، فَتَيَمَّمْتُ[1] بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا[2]، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لاَ، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلاَ تَقْرَبْهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ، حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الأَمْرِ، قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «**لاَ، وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبْكِ**». قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللهِ مَا زَالَ

---

(١) أي: قصدت.

(٢) أي: أحرقت تلك الرسالة في التنور.

يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: وَاللهِ لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلاَمِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ[1]، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ

(١) يريد قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى[1] عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ، بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ: أَبْشِرْ!، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا[2]، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ

---

(١) أي: صَعده، وارتفع عليه. انظر: البحر المحيط الثجاج: ٤٣/ ٤٩.

(٢) أي: وامتطى رجل جواداً، واستحثَّه على الإسراع إليَّ، فجاء يجري بسرعة كي يبشرني بهذه البشارة. انظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: ٥/ ١٧.

المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ قَالَ: «**لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ**»، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ اللهُ فِي

صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيتُ[1]، وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [التوبة: ١١٧] إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة: ١١٩][2]، فَوَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلاَمِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ

---

(١) المقصود: أن يحفظه الله عَزَّوَجَلَّ من الكذب. دليل الفالحين: ١/ ١٣٦.

(٢) يريد بذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٧ - ١١٩].

صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ﴾ [التوبة: ٩٥]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة: ٩٦][1]، قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة: ١١٨]، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا

---

(١) الآيات المقصودة بتمامها، هي قول ربنا جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة: ٩٥ - ٩٦].

خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ(١).

❁ فوائد من قصة توبة كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

حديث كعب بن مالك الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي ذكرناه بتمامه على الرغم من طوله، لغزارة فوائده، وكثرة دروسه، التي احتواها، يحسن بنا أن نقف على شيء منها، فمن ذلك:

١. بيان فضل الصِّدق وأثره في تفريج الكروب، وأنه لا ينجي العبد مثل الصدق، خاصة حين يزيِّن الشيطان الكذب للنجاة، وهذا المعنى مستفاد من عدة مواقف من قصة كعب:

- فأوّلها وأظهَرُها: توبة الله عَزَّوَجَلَّ على كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسبب صدقه في قوله، وصدقه في توبته، كما قال: «إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَاللهِ

(١) رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ اللهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي».

- ومما يدلّ على فضل الصدق، وأن عاقبته خير وسعادة، وسوء عاقبة الكذب، وأن عاقبته خزيٌ وندامة، قول كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ».

٢. منقبة الصدق مع النفس، والشجاعة عند قول الحق، دون خوف أو تردد، ولو لم يكن ذلك في مصلحة المتحدث، وبيان أن كعبًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان صادقًا في حديثه كلِّه، وشاهد ذلك قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ

حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَاللهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ).

٣. حقّ النِّعَم أن تُشكَر ولا تُكفَر، ومن شكر النِّعَم: الاعتراف والتحدُّث بها، وإقرار الفضل لمُسديها وواهبها وهو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى:١١]، وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «**مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ، التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**»(١).

وبالشكر النعم تزيد النعم وتدوم، ويبارك الله عَزَّوَجَلَّ بها، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) رواه أحمد (١٨٤٤٩).

وقد قال كعبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معترفًا بنعمة الله عَزَّوَجَلَّ عليه: (لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلاَّ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ)، وقال أيضًا: (وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ).

٤. عدم جواز مدح النفس بما ليس فيها، ففي الحديث عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالت: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**»(١).

ولقد تكلم كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن نفسه، فلم يمدحها بما ليس فيها، فقال: (لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا).

---

(١) رواه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٥٧٠٧).

٥. حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على مشاركة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومتابعته في كل أعماله، قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ)، وكذلك ينبغي للمسلم أن يكون تابعًا ومتابعًا لسنة المصطفى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في كل صغيرة وكبيرة من شؤون حياته، وهذا هو التطبيق العملي لقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

٦. مشروعية التعاون والتعاضد لمناصرة دين الله عَزَّوَجَلَّ؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧]، وشاهد ذلك من حديث كعب قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ)،

فالواجب نصرة دين الله عَزَّوَجَلَّ-حسب ما أمكن المسلم-، مع مراعاة المصالح والمفاسد في ذلك.

٧. غرس دوام المراقبة لله جَلَّجَلَالُهُ، سرًّا وعلانية في نفوس المسلمين، فهو دواء نافع لحل كثير من المشكلات صغرت أم كبرت، ومن ذلك قول كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ، إِلاَّ ظَنَّ أَنْ سَيَخْفى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللهِ).

٨. القائد الناجح والمربي الفاضل يشارك أتباعه في كل عمل، ففي هذا الحديث غزا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هذه الغزوة العظيمة بنفسه مع صحابته الكرام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، على الرغم من الشدائد والمشاق التي اكتنفت هذه الغزوة، وكان لذلك أثرٌ عظيمٌ في تخفيف وطأة الصعاب، وتخفيف المشقة على الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

٩. تقديم ما يحب الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على ما تحبه النفس وتهواه، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(١).

وفي هذه الحادثة يظهر ذلك المعنى جليًّا، فعلى الرغم من صعوبة الظروف المواتية للغزوة، واللذة الداعية للبقاء في المدينة، حيث قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَغَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ)، إلا أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قدّموا ما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على ما تحبه نفوسهم، إعلاءً لكلمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد فرح المنافقون بتخلُّفهم وقعودهم، وصرّح بعضهم لبعض بما في نفوسهم من حب الدنيا، والركون إلى

(١) رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

الراحة والدَّعة، وكراهة مشقة الجهاد، قال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١]، وكره الله انبعاثهم للغزو، فقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة: ٤٦].

١٠. خطر الكسل والتسويف والتأجيل، وأنه مفسد على العبد أمر دينه ودنياه؛ فبسبب ذلك أجل كعب خروجه، حتى خرج كل الغزاة ولم يخرج معهم، قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ. فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ

غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ).

١١. المبادرة إلى الطاعات فورًا، والمسارعة إليها، وترك التسويف، والحرص على أدائها بإخلاص وعزم وجد، وتكميلها واجتناب التقصير -ما أمكن-؛ قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

ولذلك شواهد كثيرة من هذه القصة، فمن ذلك قول كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ)، وقوله أيضًا: (حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ).

قال ابن القيم: الرَّجُلَ إِذَا حَضَرَتْ لَهُ فُرْصَةُ الْقُرْبَةِ وَالطَّاعَةِ فَالْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ فِي انْتِهَازِهَا وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهَا، وَالْعَجْزُ فِي تَأْخِيرِهَا وَالتَّسْوِيفِ بِهَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا لَمْ يَثِقْ بِقُدْرَتِهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنْ

أَسْبَابِ تَحْصِيلِهَا، فَإِنَّ الْعَزَائِمَ وَالْهِمَمَ سَرِيعَةُ الِانْتِقَاضِ قَلَّمَا ثَبَتَتْ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يُعَاقِبُ مَنْ فَتَحَ لَهُ بَابًا مِنَ الْخَيْرِ فَلَمْ يَنْتَهِزْهُ، بِأَنْ يَحُولَ بَيْنَ قَلْبِهِ وَإِرَادَتِهِ، فَلَا يُمْكِنُهُ بَعْدُ مِنْ إِرَادَتِهِ؛ عُقُوبَةً لَهُ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ إِذَا دَعَاهُ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ وَإِرَادَتِهِ، فَلَا يُمْكِنُهُ الِاسْتِجَابَةُ بَعْدَ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤]، وَقَدْ صَرَّحَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهَذَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وَقَالَ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة: ١١٥] وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ[1].

(١) زاد المعاد: ٣/٥٠٢.

١٢. الندم على ترك الطاعات، ولوم النفس عليها يدل على صحة القلب وسلامته؛ قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَى إِلاَّ رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ).

١٣. ينبغي على المسؤول والقائد الناجح أن يجالس رعيته ويخالطهم ويتفقد أحوالهم، فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -على الرغم من شدة انشغاله- يجلس مع أصحابه ويحدثهم ويسأل عن حالهم؛ قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَقَالَ وَهْوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟**»).

١٤. إحسان الظن بالمسلمين، وعدم إساءة الظن والاتهام دون بينة أو دليل؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، والدفاع عن أعراض المسلمين والذب عنها من أسباب رد النار عن وجه العبد يوم القيامة؛ فعن

أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١)، ولذلك في قصة كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما قال رجل من بني سلمة: «يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ»، غضب لكعب معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: (بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا)(٢)؛ فلا بد للمسلم أن يتبيَّن ويتحرّى الحق قبل أن يحكم على غيره، فإساءة الظن وبناء الأحكام على هذه الظنون، هو ضرب من الظلم والتعدي على المسلمين من غير وجه حق.

١٥. الأصل في الأحكام: الأخذ بالظاهر، ووكل البواطن لله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَقَبِلَ مِنْهُمْ(٣) رَسُولُ اللهِ

---

(١) رواه الترمذي (١٩٣١).

(٢) تقدم قريبا تخريجه في قصة كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أي: من المتخلِّفين الذي جاءوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معتذرين.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ، وبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ).

١٦. محاسبة النفس، والتفكر في عواقب الأمور، يقي من الوقوع في كثير من الأخطاء؛ قال الله تعالى آمرًا بذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر: ١٨]، وقال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا».

١٧. أهمية الشورى للوصول لأفضل القرارات وأصلحها، قال تعالى آمرًا نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يستشير أصحابه -رضوان الله عليهم-: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ووصف المؤمنين بأنهم أهل شورى فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾ [الشورى: ٣٨].

ولا بد أن يكون المستشار ذا أمانة، وتجربة، ونصح، ورأْي رشيد سديد؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**»(١)، وقد استشار كعب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أصحاب الرأي للنظر في أمره، فقال: (وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي).

١٨. من أعظم النعم توفيق الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ للعبد بأن يميز بين الحق والباطل، وأن يتّبع الحق بعد معرفته -ولو كرهته النفس-، وأن يجتب الباطل -ولو مالت إليه النفس-، فقد منّ الله عَزَّوَجَلَّ على كعبِ بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، فأراه الحق، وعرّفه الباطل، ولذلك ندم على تفريطه وتقصيره، وجاء للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ معترفًا بذنبه.

١٩. ينبغي لمن فعل فعلًا صحيحًا، ولكنّ ظاهرَه الخطأ -فيما يراه أو يظنه الناس-، أن يبين مراده من فعله، لئلا يسيء

(١) رواه الترمذي: (٢٨٢٢)، وابن ماجه (٣٧٤٥).

الناسُ الظن به، وفي الحديث الذي روته أم المؤمنين صَفِيَّة بنتُ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا دليل على ذلك، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**» فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا**»[1].

أما إذا ارتكب المرء ما هو خطأ محض، فالواجب التوبة والاعتذار عنه بصدق؛ وذلك مستفاد من قول كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمَّن تخلف عن الغزوة: (فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ).

---

(١) رواه البخاري (٣٢٨١).

٢٠. من الأساليب التربوية النافعة: الإشارة والنظرة من المعلِّم للمتعلِّم دون كلام، وخاصة إن كان المتلقِّي سريع الفهم، وفي قصة كعب تبسَّم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كناية عن غضبه على كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يتكلم بذلك، قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ).

٢١. جواز استعمال التورية لمصلحة راجحة، كما أخبر كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا».

٢٢. الحزن والبكاء عند ارتكاب المعصية، وإظهار الندم عليها، وفي قصة كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ»، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث آخر: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»[1].

---

(١) رواه أحمد في مسنده: (٣٥٦٨).

٢٣. بيان خطورة استغلال الأعداء مواقف الضعف، وخطر الانجرار والانسياق لمخططاتهم، وفي قصة كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حاول ملك الغساسنة تجنيد كعب في صفه وردّه عن دينه، ولكنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -بفضل الله- تفطّن لمكيدة الكفار ولم ينجرّ خلفهم، حيث قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ المَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ"، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلاَءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا».

٢٤. استحباب تبشير المسلم بما ينتظره من الفرج أو مما يسره، وشاهد ذلك من قصة كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بشارة رجل له بأعلى صوته: «يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ: أَبْشِرْ!».

٢٥. جواز السجود شكرًا لله عَزَّوَجَلَّ وفرحًا عند حلول نعمة عظيمة، ودليله سجود كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عندما بُشِّر بتوبة الله عليه.

٢٦. مشروعية مكافأة حامل البشارة، والدليل قول كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا».

٢٧. عدم نسيان المعروف من شيم الكرام، قال كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: « فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ».

٢٨. استحباب التصدق توبةً وشكرًا وفرحًا بنعمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قال كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِ اللهِ».

٢٩. بيان أولوية إغناء الأهل والأقربين قبل التصدق بالمال كله أو بعضه، وشاهد ذلك قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ**»[1].

٣٠. لزوم الاستقامة بعد التوبة، وشاهده من قصة كعب قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيتُ».

وكانت توبة الله عَزَّوَجَلَّ على كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دليلًا على صدقه وإخلاصه في توبته، وكيف أن الله جَلَّجَلَالُهُ أنجى كعبًا وذلك

(١) رواه البخاري: (١٢٩٥)، ومسلم: (١٦٢٨).

لصدقه في اعتذاره، واستعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالصدق للتوصّل إلى نجاته، فبلّغه الله مراده، وأنزل الله تعالى فيه قرآنًا يتلى إلى يوم الدين، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التوبة: ١١٨].

الخاتمة

كانت هذه نبذة يسيرة عن خلق الصدق، الذي هو من أعظم الأخلاق والصفات التي ينبغي للمسلم أن يتحلى بها دائمًا وأبدًا، نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يهدِيَنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا هو، وأن يصرف عنا سيء الأخلاق لا يصرف عنا سيِّئها إلا هو، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت.

٣. إرشاد السّاري: شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، الناشر: المطبعة الأميرية.

٤. أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين ابن الأثير، الناشر: دار الفكر.

٥. البحر المحيط الثجَّاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجَّاج، المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الأثيوبي، الناشر: دار ابن الجوزي.

٦. بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتاب العربي.

٧. بصائر ذوي التمييز: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الناشر: لجنة إحياء التراث.

٨. التبيان في أقسام القرآن: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية،

الناشر: دار المعرفة.
٩. التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، نشر: دار الكتب العلمية.
١٠. تفسير البغوي: الحسين بن مسعود البغوي، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.
١١. تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر.
١٢. تفسير السعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الناشر: مؤسسة الرسالة.
١٣. تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.
١٤. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، الناشر: مؤسسة الرسالة.
١٥. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار العروبة.
١٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني،

الناشر: مطبعة السعادة.

١٧. دليل الفالحين: محمد علي بن علان، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

١٨. زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة.

١٩. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

٢٠. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، نشر: دار الرسالة العالمية.

٢١. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن الترمذي، نشر: مصطفى البابي الحلبي.

٢٢. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، نشر: دار طوق النجاة.

٢٣. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم، نشر: دار إحياء التراث العربي.

٢٤. عمدة القاري: بدر الدين العيني، المطبعة المنيرية.

٢٥. الفوائد: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية.

٢٦. قوت المغتذي على جامع الترمذي: جلال الدين السيوطي، الناشر: جامعة أم القرى.

٢٧. الكوكب الوهَّاج والرَّوض البهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج، محمد الأمين بن عبد الله الهَرَري الشافعي، الناشر: دار المنهاج.

٢٨. لسان العرب: جمال الدين ابن منظور، الناشر: دار صادر.

٢٩. لمعات التنقيح: عبد الحق البخاري الدِّهلوي، الناشر: دار النوادر.

٣٠. مدارج السالكين: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتاب العربي.

٣١. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم، نشر: دار الكتب العلمية.

٣٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل، نشر: مؤسسة الرسالة.

٣٣. مصابيح الجامع: بدر الدين الدماميني، الناشر: دار النوادر.
٣٤. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، الناشر: دار القلم.
٣٥. منار القاري: حمزة محمد قاسم، الناشر: مكتبة دار البيان.
٣٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي.
٣٧. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تأليف عدد من المختصين، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع.

فهرس

- معنى الصدق: ٢
- منزلة الصِّدِّيقيَّة:..... ٣
- فضل خلق الصدق:..... ٦
- فيمَ يكون الصدق؟.....١٢
- الصدق مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:.....١٦
- الصدق في سيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ١٩
- الصدق في حياة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:.....٢٢
- أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ٢٤
- كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:.....٢٧
- فوائد من قصة توبة كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:.....٤٢

المصادر والمراجع:.....٦٣

www.sia.gov.ae info@sia.gov.ae 06 505 5888 islamic_affairs 0561888292
الرقم المجاني 80017 الفـــتاوى 8001441